وفاء على مقبرة الموت
مجموعة قصصية
تأليف :
مجدي محروس

www.riwaya.ml

وفـــاء

علــي

مقــبــرة الــمـوت

قـصص قـصيـرة

تـــألـيـف

مــجدي مــحروس

وفـاء علـى مقـبـرة الـمـوت

قصة قصيرة بقلم / *مـجدي مـحروس*

من بعيد لاح القطار ..

نعم .. نعم بالقطع إنه قطار ..

فها هو نفيره القوي يأتي من بعيد ..

يا إلهي .. صوت التليفون المزعج يتردد في أذني بكل قسوة ...

بكل تثاقل وضيق أمد يدي للسماعة .. أشعر بيدي ثقيلة لا تتحرك ..

- ألو

أهلا عم " بيومي " ..... ايــــــه ؟ !

مستحيل .... مستحيل

نعم مستحيل ..

مستحيل أن يموت أبي الآن ...

لم يحن موعد موته بعد ..

لأني لم أبر بقسمي بعد ..

القسم الذي أخذته علي نفسي منذ ... منذ عشرين عاما ..

لا .. إنها ثلاث وعشرون عاما وسبعة أشهر وستة عشر يوما بالتمام والكمال ..

فصرخات الطفل ذي السبع سنوات ما زالت تتردد في أذني ... تدوي في أعماقي ...

وكان ما حدث ماثلا أمام عيني كأنه بالأمس ..

- أهلا يا " رفعت " اتفضل .

بكل تكبر وخيلاء يدخل " رفعت " وهو يترفل في عباءته السوداء ، يهتف أبي - مرة أخري - مُرَحبًا :

- اتفضل يا رفعت .. الشاي يا ولاد .. وجهزوا العشا .

يعدل " رفعت "من كُم جلبابه الغالي ، وهو يمد يده في جيبه ويلتقط مجموعة أوراق يفردها أمام أبي قائلا بصوت جهوري غليظ :

- امضي يا " عبد الرحيم " .
- أمضي ؟ ! أمضي علي إيه يا " رفعت " ؟
- ألم تقترض مني عشرة آلاف جنيه للعملية ؟
- عاوز وصل أمانة علي أخوك يا " رفعت "؟ !
- لا .. لا .. وصل أمانة إيه ؟ دا أنت أخويا يا " عبد الرحيم " .
- وما هذه الأوراق إذا ؟
- تنازل منك عن الأرض والبيت الكبير .
- إيه الكلام دا يا " رفعت " ؟ !
- امضي يا " عبد الرحيم ".
- أنت نسيت أنا مين يا " رفعت " ؟ ! نسيت إن أنا في مقام أبوك ؟ نسيت إن أنا اللي مربيك ؟ أنت أكيد مجنون .. مجنون ...

هبَّ " رفعت " من مكانه صارخا وهو يمسك بتلابيب " عبد الرحيم " :

- ها تمضي يا " عبد الرحيم " وإلا ...
- وإلا إيه يا " رفعت "... ها تضرب أخوك الكبير ؟ !
- إحنا مش إخوات .
- دا الأب واحد .
- لكن الأم مش واحدة .

- عشان كده نبقي مش إخوات ؟!
- أنا مقبلشي أكون أخ لواحد أمه كانت بياعة فجل و....

تهوي كف " عبد الرحيم " الواهنة المرتعشة علي وجه " رفعت " وهو يصرخ :

- اخرس يا ندل .

" رفعت " يتلقى الصفعة وقد احمرّ وجهه وألقي عباءته أرضا وانقضّ علي أخيه الكبير ضربا وركلا ..

يقع " عبد الرحيم " أرضا والدماء تنزف من كل أجزاء جسده ...

ينظر إلي " رفعت " ودموع القهر في عينيه ..

ينظر إلي ابنه ذي السبع سنوات الذي يكاد يموت من الصراخ وهو يتعلق بقدم " رفعت " الذي يركله بقدمه بعيدا ...

ينظر إلي بناته الصغيرة التي تولاها الرعب والفزع ...

مرة أخري يلتقط " رفعت " الأوراق وهو يرفع " عبد الرحيم " من الأرض ويضعها أمامه صارخا :

- امضي .

و... مضي " عبد الرحيم " التنازل عن الأرض والبيت الكبير .

" رفعت " يتطلع لتوقيع أخيه علي الأوراق في انتصار وقد لمعت عيناه في جنون ويلتقط عباءته وينطلق خارجا كما دخل في تكبر وخيلاء .

أكثر من عشرين عاما مضت ولم أنس ما حدث قط ..

يا إلهي .. تبا لهذا القطار اللعين ...

أشعر وكأنه لا يتحرك أبد ...

ولكن .. أخيرا .. ها هي قريتي تبدو من بعيد ..

ها هي الحقول والأشجار .. ها هي المئذنة العالية ..

ولكن ..ما هذا ؟ أشعر بأن قدمي ثقيلة جدا ..

أشعر وكأنها لن تقوي علي حملي ...

أبذل مجهودا خارقا لأتحرك ..

آلاف الأصابع أشارت علي طريق المقابر ..

آلاف الألسنة هتفت بأسي وحزن :

- اسرع .. موكب الجنازة في الطريق .

مرة أخري تتراقص أمام عيني صورة الطفل ذي السبع سنوات وهو يصرخ ..

صرخاته تتردد في أذني .. تدوي في أعماقي ..

و ..... - " انتظروا " .

هكذا صرخت في الموكب بصوت لم يتعد حلقي أو هكذا تخيلت أني أصرخ ..

ولكن العجيب أن الجميع توقفوا ونظروا إليّ ..

وتناهت إلي مسامعي أصوات وضجيج ودموع

- دا " حسن " الابن الوحيد للمرحوم .
- ربنا يصبره .
- لكن إيه اللي أخره ؟
- وحدووووووه .

لحقت بهم تسبقني أنفاسي المتلاحقة .. أفسحَ لي الجميعُ وأنا أخترق الصفوف ...

وعلي الصندوق الخشبي – حيث يرقد أبي – وضعت يدي ..

ولم تذرف عيناي دمعة واحدة وأنا أتفحص الوجوه وأبحث عنه ..

عن " رفعت " ..

كان ما زال مترفلا في عباءته السوداء وقد تصدر الموكب الجنائزي وراح يتحسس شاربه الرفيع وهو يتصنع الحزن ..

لمحته بطرف عيني – التي لم تذرف دمعة – ولم أنطق ..

أمام عينيّ تتراقص صورة الطفل ذي السبع سنوات وهو يبكي ..

ولكني لن أبكي الآن .. لا بد وأن أبر بقسمي أولا ..

وهناك .. عند المقابر انقسم ذلك الحشد الهائل إلي صفين ..

اخترقت الصفين وراء الصندوق الذي يحمل جسد أبي ..

تطلعت إلي المقبرة وقد فُتح بابها كفكي وحش مفترس ..

استعد البعض كي يضعوا أبي في مثواه الأخير ..

وهنا .. انطلقت صرختي ..

صرخة قوية تردد صداها في أرجاء المكان

- انتظروا .

تطلع إليّ الجميع في ذهول .. ترددت صرختي مرة أخري وأنا أنظر إلي رفعت :

- تقدّم .. لقد أوصاني أبي بألا يدفنه أحدُ غيرك .

تقدم " رفعت " في خيلاء مخترقا الصفوف وهو يعدل عباءته كعادته وقبل أن تلمس يداه الصندوق صرخت في وجهه وسط ذهول الجميع :

- فاكر يا " رفعت " ,,

فاكر لما كان عندي سبع سنين وأنا متشعلق في رجلك وأنت بتضرب أبويا والدم عمال ينزل من جسمه عشان يمضي التنازل عن الأرض والبيت .

" رفعت " يتطلع إليه في ذهول ولا يرد ...

الجميع ينظرون للصندوق القابع علي باب المقبرة وتصدر عنهم همهمات كلها غضب وثورة

- هذا ليس وقت الحساب .

- ادفن أخوك يا " رفعت " .
- كرامة الميت دفنه .
- ادفن أبوك يا " حسن " .

نفس الصرخة انطلقت من بين شفتيّ قوية هادرة :

- لا ..... لا بد أن يدفع " رفعت " الثمن أولا ....

لا بد وأن أبر بقسمي وقبل أن يواري أبي تحت التراب .

الهرج والمرج يسود أمام المقبرة ..

غضب الناس يتزايد ..

الهمهمات تتحول لأصوات عالية رافضة غاضبة ....

أشعة الشمس تزيد حدتها وتقسو في حرارتها وكأنها تشاركهم الغضب ...

العرق يسيل علي الجباه والأجساد في غزارة ....

ويبدأ البعض في استخدام القوة في دفن الرجل ..

وفجأة .. يبرز فوق أسطح المقابر ...

عشرة رجال أقوياء أشداء ..

بيد كل منهم عصا غليظة ..

كانت ملامحهم مألوفة ..

ولكن لا أذكر أني رأيتهم من قبل ..

وراحوا يهتفون بصوت قوي وعميق في آن واحد :

- " لا بد وأن يبرَّ الفتي بقسمه " .

الجموع تتطلع للرجال العشرة في خوف ولم يحركوا ساكنا و" رفعت " قد التصق بجدار المقبرة في خوف ورعب ..

تطلعت للرجال في امتنان وانقضضت علي رفعت في غضب ..

وانهالت صفعاتي عليه .. وقعت عباءته تحت الأقدام .. سالت دماؤه ..

من جيبي أخرجت ورقة فردتها أمام عينيه وناولته قلما و... وقع " رفعت " تنازلا عن الأرض والبيت الكبير .

- لا أريد أن أراك هنا ... هيا .

انطلق " رفعت " كالريح مخترقا الصفوف غير مصدق أنه ما زال علي قيد الحياة ..

وهنا .. هنا فقط ... نظرت لجسد أبي وانهمر من عينيّ طوفان من الدموع ..

الكلمات تخرج من حلقي بصوت مرتعش وهو يدخل لمثواه الأخير :

استرح ... استرح يا أبي ..

لقد أخذت حقك ... لقد أخذت حقك .. لقد أخذت حقـ ...

و .....   - " استيقظ يا " حسن " ... استيقظ ...مفاجأة " .
فتحت عينيّ بصعوبة واعتراني الذهول :

- ما هذا ... أين أنا ؟ وما هذه الحجرة ؟ وأين المقبرة ؟ أين الـ ...
- " استيقظ يا " حسن " ... استيقظ ...مفاجأة " .
- من ؟ " فاطمة " ؟ ! من أتي بك عند المقبرة ؟ و ....

رباه !!   ما هذا ؟   إنني لم أغادر فراشي قط .. إنه كابوس ... كابوس ...

- ماذا تقول يا " حسن " ؟ أقول لك مفاجأة .
- مفاجأة ؟
- نعم يا " حسن " .. لقد أصاب عمك " رفعت " عيار طائش ومات صباح اليوم وعمك كما تعرف لم ينجب وكل شيء الأرض والبيت أصبح ملكك مرة أخري .
- مات ؟ والأرض ملكي !!

رباه !! ما هذا ؟   إنه الكابوس ..
لا ... بل الحلم ..
حلم الوفاء و ... علي مقبرة الموت .

تمت بحمد الله

1995 / 1 /31

بقلم / **مجدي محروس**

ت / 01225783961

ضيــــا / / / / / / / ع

قصة قصيرة بقلم / مجدي محروس

- " أنت يا .... واحد شاي " .

التفتُ لمصدر الصوت ولم أصدق عينيّ ..
رباه !!
هل هذا هو " حسن " ؟
نعم إنه " حسن ".. فها هو وجهه المكتظ وشاربه الرفيع وشعره الخفيف ولكن ..
ألم يعرفني ؟ ألم يتذكرني ؟
إني لم أره منذ عشر سنوات
منذ أن تركت طريق الدراسة وبدأت طريق الكفاح ..
منذ أن حكمت علي نفسي بالموت ..
ولم يكن بيدي ..
كان من أجلهم

أبي المريض .. أخواتي الستة .. الشقة المكونة من حجرة واحدة ..
وكل ذنبي أنني الكبير ..
نعم .. هذا كل ما جنته يداي ..
ولكن .. تري أين هو الآن ؟
وفي أي مرحلة دراسية ؟
لا بد أنه علي وشك التخرج من الجامعة .
وضعت الشاي أمامه ..
لم تبدُ علي وجهه أي علامات علي أنه تعرفني ..
نظر إليّ نظرة بلا معني وقد وضع ساقا علي ساق وعيناه تتصفح كتابا بين يديه ..
نظرتُ إلي ذلك الكتاب الضخم الذي بين يديه ..
وكم تمنيتُ في تلك اللحظة أن أخطف ذلك الكتاب من بين يديه ..
كم تمنيتُ أن أغوص بين صفحاته ..
بين كلماته ..
بين حروفه .
اشتعلتُ أعماقي أكثر وأكثر وعقلي الباطن يصرخ في مرارة :

- لماذا .. لماذا حكم عليّ القدر بالموت ؟
  أما كان أولي بى أن أكون مكانه الآن ؟

رد عقلي الواعي في حدة :

- لا .. ليس القدر بل المجتمع وظروفه .
- المجتمع وظروفه ما هم إلا إحدي ألاعيب القدر .
- القدر؟ !
- نعم القدر ..

القدر الذي جعلني العائل الوحيد لأخواتي الستة ..
القدر الذي جعلني الأمل الوحيد لهم في الخروج من ذلك الجُحر الذي يعيشون فيه ..

- لست وحدك الذي تعاني من ذلك .
- أعلم ذلك .. أعلم أنني لست وحدي

وهذه هي المصيبة ..
فأنا عنوان لجيل بأكمله ..
جيل سيظل أسيرا بين أسوار الجهل والتخلف ..
جيل سيظل طريحا للفراش بعد أن هزمته الأوبئة والأمراض ..
جيل لن يعرف طريقا للتعليم أو للحياة الحرة الكريمة .

- هو الذي تسبب في ذلك ولا بد وأن يتحمل نتيجة خطأه .
- لا .. لا ... هو ليس السبب ..

ما هو إلا ضحية من ضحايا المجتمع ..

ضحية غياب العقل السليم ..

ضحية غياب التخطيط البناء ..

ضحية غياب الضمير ..

نعم .. نعم هو ضحية .. ضحية ..

يا إلهي ..

رأسي يكاد ينفجر ..

مرة أخري حملقت فيه بعينيّ الغائرتين ..

مرة أخري تمنيت أن انتزعه من مكانه وأقذف به بعيدا و .... أجلس مكانه .

فجأة ..

وجدته ينهض من مكانه وهو يستعد للانصراف ..

جالت عيناه في المكان وكأنه يبحث عن شيء ..

يا إلهي !!

إنه يقبل عليّ .. لعله تذكرني أو تعرفني .

مسحت يدي في ملابسي استعدادا للأحضان والقبل ..

اقترب مني ..

فردتُ ذراعيّ استعدادا لتطويقه بين أحضاني ..

تطلع إليَّ بذهول ومد يده إليَّ وهي قابضة علي ورقة مالية صغيرة ..

كانت الورقة المالية رابضة بين أصابعه - وقد حاول إخفائها عن الأعين - وكأنه واقف أمام سائل محتاج ..

نظرت للورقة المالية ولم أحرك ساكنا ..

انفلتت من عينيّ دمعة ساخنة غابت بين التجاعيد التي حفرتها قسوة الزمن علي وجهي ..

وفجأة ..

عدتُ لعالم الواقع ..

تذكرتُ أبي المريض ..

تذكرتُ أخواتي الستة ..

تذكرتُ أني أملهم الوحيد في الحياة ..

حياة الموتي ..

و ....

مددتُ يدي وتناولتُ الورقة المالية منه ..
بكل هدوء يتناول نظارته ويضعها فوق جبهته ..
وأخذ كتابه وراح يغادر المكان بخطوات واثقة متزنة ..
ظلت عيناي تتابعه وهو يبتعد ويبتعد ..
و .....

- واحد شاي يا بني .
- شاي ؟ !
- نعم شاي ! إنت مش قهوجي ؟
- أنا !!

نعم قهوجي ..
قهوجي يا بيه .

تمت بحمد الله

1995 / 2 /15

بقلم / **مجدي محروس**
ت / 01225783961

علي هامش الحياة

قصة قصيرة بقلم / مجدي محروس

- يا " هاشم " .... يا " هاشم " .

ألقي " هاشم " الفأس من يده ومسح بكم قميصه عرقه الغزير وتطلع لصاحب الصوت وقال :

- إيه يا " رشاد "... فيه إيه ؟
- الحق يا " هاشم " .. " راوية " بتولد .

فكّ " هاشم " جلبابه من حول وسطه ورمي فأسه وانطلق صوب داره وهو يقول :

- بتولد !!

حق يا " رشاد "..
طب الداية ... الداية جت ولا لسه ؟

- أختك " فاطمة " راحت تنادي خالتك " بركة " الداية .

يردد " هاشم " بنفس متقطع وهو يجري صوب داره

- يا رب استر .. استر يا رب .

ساعة كاملة و" هاشم " أمام الدار ..
ساعة كاملة والقلق يكاد يعصف به وصوته يخرج من بين ضلوعه هاتفا :

- يا رب ولد المرة دية ..

ولد يا رب ..

نفسي في ولد ..

كفاية بنتين يا رب ..

يا رب استر .. استر يا .....

- " افرح يا " هاشم " ... جالك ولد " .

هكذا هتفت " بركة " الداية ، و" هاشم " يتطلع إليها في ذهول غير مصدق ما سمعته أذنه

- حق يا خالة " بركة "....
- حق جالي ولد ؟ !
- دا لو حق الكلام ده ليكي عندي حلاوة كبيرة أوي .

ردت الداية العجوز وهي تدخل للدار مرة أخري :

- والله ولد يا " هاشم " .... ولد .

وقع " هاشم "علي الأرض ..

انهمرت دموعه ..

ردد بنفس متقطع :

- أحمدك يا رب ..
- أخيرا جه الولد

الولد اللي ها يحمل اسمي ..

الولد اللي هاعتمد عليه ...وصرخ في " رشاد " :

- الولد يا " رشاد " ... الولد .

ردّ عليه " رشاد" – زوج أخنه " فاطمة " – وقال :

- احمد ربنا يا " هاشم "... وقوم شوف " راوية " جماعتك .
- " راوية " ؟!

نعم لقد أنساه الولد كل شيء .. حتي زوجته ، هرع إلي داخل الدار ، دفع باب حجرة بجوار السلم ، ونظر إلي زوجته التي ترقد في إعياء وقال من بين دموعه التي تنهمر بغزارة :

- ولد يا " راوية " ... ولد .

ابتسمت " راوية " في ضعف وقالت :

- ولد يا " هاشم " ....ولد .
- حمد الله علي سلامتك يا " راوية " .
- الله يسلمك ... مبروك يا أبو الولد .

هبّ " هاشم " من مكانه ..

نادي بأعلي صوته :

- يا " فاطمة "... يا " رشاد " ..
- فرقوا الشربات ..
- اسقوا كل الناس دا أنا جالي الود ..

جالي " وحيد "..

وحيدي في دنيتي .

كانت فرحة " هاشم " بالولد لا توصف ...

دبح العجل اللي عنده ...

عمل ليلة لأهل الله ...

و .....

- الواد ما بيكلمشي ليه يا " فاطمة " ؟ !
- يوه !! لسه صغير يا " هاشم " !!
- صغير !! الواد دخل في أربع سنين !!
- يوه .. جري إيه يا " هاشم " هو أنا كنت دكتور ؟!
- دا صحيح .. الواد لازم نوديه لأكبر دكاترة في البندر .

ومن الفجر كان " هاشم " في البندر ، " وراوية " شايلة الواد بين دراعتها

و .....

- الحقني يا " رشاد "..... احقني .
- فيه إيه يا " هاشم " ؟ وعملت إيه في البندر ؟ وإيه أخبار الواد ؟
- ابني أخرس يا " رشاد " ...

الواد طلع اخرس ..

الواد اللي استنيته طول عمري اخرس ...

أخرس يا " رشاد " .

صرخات " هاشم " تتردد في جنبات القرية وقد وقع علي الأرض وأهال التراب علي وجهه وتجمع أهالي القرية من حوله ...

بكل ألم هتف " رشاد " :

- وجِّد الله يا " هاشم " ... وقدر أخف من قدر .

وهتفت " بركة " الداية ويدها علي صدرها :

- يا عيني دا مستنيه طول عمره .

وقال الشيخ " عبد الراضي " خطيب الجامع وهو يمد يده لهاشم :

- " وله في ذلك حكم " ، " " عسي أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم " .

اسودّت الدنيا في عينيّ " هاشم " وقد ضاع الأمل الذي انتظره طيلة حياته ..
أصبح مثالا لليأس ..
كره الدنيا ..
كره الحياة .. وكل شيء ..
مرت الأيام والسنون ، وشبّ " وحيد "
سبحان الله ... كان آية في الروعة والجمال ولكن لم يعبأ به أحد ...
لم يهتم به أي شخص ..
حتي أبوه " هاشم " ..
كانت تمر الأيام لا يسأل عنه .. لا يراه ..
لم يسأله يوما أين كان .... ولا أين ذهب ..
لم يطلب منه يوما عملا يقوم به ..
هكذا عاش " وحيد "..... عاش وحيدا ..
لم يعرف أحد .. ولم يعرفه أحد ..
وهناك .. عند الساقية المهجورة الرابضة عند أطراف القرية – حيث اعتاد أن يخلو بنفسه - جلس ..
واتخذ من جذع الشجرة مسندا له ..
وترك لذاكرته العنان ...
تذكر يوم غلبه النوم في هذا المكان ولم ينم في فراشه طوال الليل ...
تذكر كيف نسيه الجميع ولم يدروا بغيابه ...
نعم الجميع .. أبوه .. أمه ... الكل نسيه ..
وتساءل " وحيد " في اعماقه :
- تري .. هل سيهتم به أحد لو مات ؟!
هل سيُهال التراب ..
وتُضرب الخدود ..
وتُشق الجيوب ..
إنه يشعر وكأنه لا يعيش في الحياة ..
باختصار ...
كان يعيش علي الهامش ..
علي هامش الحياة .

تمت بحمد الله

1994 / 12 / 10

بقلم / **مـجدي مـحروس**
ت / 01225783961

فـتـاة الـقـطـار

قصة قصيرة بقلم / مجدي محروس

اكتظ رصيف المحطة بالمسافرين ، وقد أخذت عيناي تتجول في ملامحهم ، وكأنها كاميرا سريعة فوجدت هذا يحدث هذا ، وتلك تهمس في أذن جارتها ، وهذا يدخن سيجارة ، وآخر يطلق سبابا فجا ، وهذا شاب عابث يغازل فتاة تمر من أمامه وهي تتصنع الحياء ، وعجوز متصابي يبلع ريقه مع كل امرأة جميلة تمر من أمامه ، ويظل يتابع جسدها حتي يختفي من أمامه ، ثم يبحث عن غيرها ، ارتفعت أصوات الباعة الجائلين علي المحطة وكأنّ كل منهم يريد أن يجعل صوته الأكثر ظهورا و .....

جاء القطار ومعه انتشر الهرج والمرج علي رصيف المحطة ما بين راكب ونازل من القطار والكل يبحث عن مقعد يجلس عليه ..

اتخذت مقعدا لنفسي بجوار الباب ...

القطار يبدأ في التحرك ببطء كعجوز بلغ من العمر أرذله يتكئ علي عصا غليظة في شارع ملئ بالحصى و ...

ـ أهلا " ماهر " تعال .

إنه صديقي بالجامعة كان يبحث عني ، أجسته مكاني ووقفت بجوار الباب ..

القطار ما زال يتحرك ببطء ..

و ..... كانت تلك الصرخة ..

فتاة تحاول ركوب القطار وهو يتحرك وكادت تهوي تحت عجلاته ..
تحركت يدي بحركة لا إرادية وقبضت علي كف الفتاة وجذبتها لداخل القطار ...
وفي تلك اللحظة انفكت عقدة لسان رجل علي مشارف الخمسينات وراح يبكي وهو يضم ابنته لصدره ويردد :
ـ " ابنتي وفاء ... أنت بخير ".
ولكن الفتاة نظرت إليَّ ..
إلي منقذها ..
ثم انخرطت في بكاء حار ..
وحاول الجميع تهدئتها إلا أنا ..
لم أدر ماذا أقول لها ...
هل أواسيها ؟ أم أهنئ نفسي ؟
نعم أهنئها وقد التقطت أصابعي ملاكا يندر أن تجد مثله هذه الأيام ..
كانت ملاكا بكل ما تحويه الكلمة من معان ..
الوجه الأبيض الجميل ..
العينان الواسعتان ..
الشفتان الرقيقتان ..
الفم الدقيق ..
استيقظت مما أنا فيه علي أصوات الناس :
ـ احمدي ربنا يا بنتي .. قدر ولطف .
ـ يا عيني البنت لونها اصفر ازاي .
ـ أنت احمدي ربنا .. أنا واحد صاحبي مات امبارح .
ما أن التقطت أذناي هذا القول الغبي حتي مددت يدي والتقطت أطراف أناملها الباردة وأجلستها في مكاني وقد قام " ماهر " زميلي ، والدها يشق طريقه ويقف بجوارها وهو يشكرني وأنا أرد عليه بهمهمات لا معني لها وعيناي معلقة بذلك الكائن الملائكي الرقيق ..
توردت وجنتاها كثمرة ناضجة وقد أحست بنظراتي إليها ...
أشعر وكأني أعرفها أو كأني رأيتها من قبل ، أهتف بصوت لم يتعد حلقي :
ـ أشعر وكأني أعرفك .. هل التقينا من قبل ؟
جاوبتني بابتسامة عابثة ماكرة وكأنها سمعت السؤال الذي لم يتعد حلقي
رباه !! إنها المرة الوحيدة التي كان القطار يسير فيها بهذه السرعة ...
كان ينهب الأرض نهبا ..
و ... إذا بها تهتف بصوتها الملائكي قائلة لأبيها :

ـ لقد وصلنا .
نظرت إليَّ ..
عيناها ما زالت تبتسم ..
انخلع قلبي مع كل حرف نطقت به وهي تقول لي :
ـ شكرا .
وكالعادة .. نظرت إليها ولم أنطق ..
عيناي معلقة بعينيها الواسعتين ..
كدت أتشبث بها وأهتف :
ـ انتظري .
ولكنني تراجعت لعقلي ، ووقفت في مكاني بجوار النافذة وكأنني مكبل بالأغلال ..
وقف القطار ..
نزلت ..
مرت من جوار النافذة ..
الابتسامة ما زالت مرسومة في عينيها ..
أخذت أتابعها مع والدها وهما يتجهان لإحدى العربات ذات الجياد ..
وما أن استقرا فوق العربة حتي أطلق الجواد صهيلا قويا وهو يرفع قائميه الأماميين في سعادة
وراح يبتعد بحمله الغالي فكان وقع حوافره علي الأرض كمطرقة من الصلب تدق قلبي ..
القطار ما زال واقفا ..
العربة تبتعد وتبتعد ..
ومن جانب العربة أطلت الفتاة برأسها ....
التقت عينانا في نظرة أخيرة ...
وبحركة خفية من أصابعها لوحت لي ..
ولكن ...
يا إلهي ...لقد فقدت عيناها ابتسامتها .

تمت بحمد الله

1994 / 12 / 18

بقلم / **مـجدي مـحروس**
ت / 01225783961